مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (24) العدد (17)2002
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Human Sciences Series Vol (24) No (17) 2002

الشافية ومنهج الأنصاري (دراسة وتحقيق)

الدكتور ناصر حسين علي*
الدكتور فاتن محجازي **
رزان يحيى خدام ***

(قبل للنشر في 2002/6/30)

□ الملخّص □

لما كانت غزارة الكتب المتنّوعة إحدى الأدلّة على وجود الأمّة وعمقها وأصالتها،ولما كانت المكتبة العربية تزخر بمئات الكتب المطبوعة التي أثرت وماتزال تؤثر في الأمة والأفراد في مختلف العلوم والفنون والآداب .

ولما كانت المئات من الكتب المهمة التي يرد ذكرها في كتب النحويين المطبوعة ما تزا ل مغيّبةً في غياهب المكتبات ودور المخطوطات تنتظرمن يطلق أسرها لتحتل مكانة مرموقةً بها وبصاحبها.

ولما كان تحقيق المخطوطات من الأعمال التي كنت ومأزال أهفو إليها بالرغم من المصاعب والمشاق التي تعترض من يروم خوض غماره قررت ارتياضه وتحمّل مشاقّه.

وقع اختياري على كتاب (المناهج الكافية في شرح الشافية) للشيخ زكريا الأنصاري 926هـ لأنه شرح لواحد من الكتب الصرفية المهمة التي عُدّت خلاصة ماانتهى إليه المتقدمون ومَنْ تلاهم في درس مسائل هذا العلم ، بالإضافةِ إلى غيرتي على هذا العلم الجليل .فنظرة سريعة فيما نشرمن نصوص العربية ،تظهر بجلاء أن عناية الدارسين بإخراج النصوص النحوية ، تفوق عنايتهم بنشر نظائرها في التصريف مع أنه ممًّا تمس حاجة اللغة العربية إليه والنحو خاصّة.

وصف المخطوط [1]

توجد للكتاب نسخة خطية وحيدة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم /6490/ وتقع في (131) إحدى وثلاثين ومئة ورقة تم نسخها سنة /1813م/ولم أعثر على غيرها فيما اطلعت عليه إلا ما طبع في كتاب (مجموعة الشافية) وهي نسخة رديئة غيرُ محقّقة.

* أستاذ في قسم اللغة العربية ، جامعة دمشق –سوريا .
** مدرس متفرغ في قسم اللغة العربية ، جامعة تشرين – اللاذقية –سوريا .
*** طالبة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، جامعة تشرين– اللاذقية –سوريا .

مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (24) العدد (17)2002
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Human Sciences Series Vol (24) No (17) 2002

"ALSHAFIA"& ALANSSARI METHODOLOGY
Study and Investigation

Dr. Nasser Ali *
Dr. Fatten Mouhjazi **
Razan Yahya Khaddam ***

(Accepted 30/6/2002)

□ ABSTRACT □

Alshafia is an introduction in Morphology. It can be divided to three parts : Declension, Declinable Cases and practice questions. More than twenty five explications came about it, one of which is **The Adequate Methodology In "Alshafia" Explication** written by Sheikh Zakarya Alanssari (dec.926Hj.) whose methodology was distinguished for being clear and brief, far from philosophy, well ordered and organized . He scanned **Alshafia** Text to syllables to detail each separately as regards ending control, explication, ideas and choices . Alanssari had two methods in explication .The first was through mentioning the Scholars sayings and justifications .

The second was through mentioning the grammatical differences represented by two schools, Albassra School and Alkoufeh School . Through the lines of his explication we get an idea about his scientific and educational character .

* **Professor at Arabic Language Department, Damascus University - Syria**
** **A Full Time Instructor at Arabic Language Department, Tishreen University, Lattakia - Syria .**
*** **Doctorate Student, Arabic Language Dept., Tishreen University, Lattakia-Syria .**

التصريف وأشهر مؤلفاته حتى المئة السابعة:

التصريف لغةً [2] : "ردُّ الشيىء عن وجهه ، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانصرفَ ، وصرّفنا الآياتِ ، أي: بيّناها."

اصطلاحاً [3] : " علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب " .

مرَّ مصطلح التصريف بمراحل عديدة قبل أن يستوي على سوقه فالتصريف عند سيبويه (ت185هـ) جاء في (الكتاب) بعد أقسامِ النَّحو تحت ما يسمى [4] " باب ما بنت العرب من الأسماء والصِّفات والأفعال ،وهو الذي يسميّه النحوّيون : التصريف والفعل. "

ثم جاء المازني (ت 248هـ) الذي يعدُّ أوّل من أفرد كتاباً في التَّصريف وصلنا بشرح ابن جنّي والمعروف بـ(المنصف) استخلص المازنيّ مادّة كتابة من كتاب سيبويه، وغاية مافعله أنه توسع قليلاً في باب الإلحاق .

ثم جاء المبرد(ت 285هـ) الذي أورد مسائل التصريف في الجزء الأول من كتابة (المقتضب).

ثم ابن السرَّاج(ت 316هـ) الذي عقد في كتابه (الأصول في النحو) قسماً كبيراً للتصريف ومسائله.

ثم تلاه الزّجاجيّ (ت337هـ) فتحدث عن التصريف في كتابة (الجُمل) ثم الفارسي (ت 377هـ) الذي خطا بالتّصريفِ خطوة جديدة ، فقد توصَّل إلى ضرورة فصل التَّصريف عن الإعراب فجعل للأوّلِ كتابة (التكملة) وللثاني (الإيضاح) .

ثم جاء ابن جنّي (ت392هـ) صاحب (التصرف الملوكي) الذي أكد ضرورة فصل النّحو عن التّصريف جاعلاً لكلٍّ منهما حداً.

ثم جاء الجرجاني (ت471هـ) فوضع في التصريف مقدمتين هما : (المفتاح في الصرف) و (العُمُد في التصريف).

ثم تلاه الميداني (ت 518هـ) الذي وضع (نزهة الطّرف في فنِّ الصَّرف).

ثم ابن يعيش (632هـ) صاحب (شرح الملوكي في التّصريف)

إذا انتهينا إلى المئة السابعة، وجدنا أنفسنا أمام ثلاثةمفاهيم للتصريف تناولتها ثلاثة كتب :

[11] الشافية لابن الحاجب (ت 664 هـ) – وهي مدار البحث–

[12] التصريف العزّي للزنجاني (ت 665 هـ)

[13] الممتع في التصريق لابن عصفور (ت 669 هـ).

موضوعات الشافية :

الشافية : مقدّمة في التصريف ، جمع فيها ابن الحاجب [5] خلاصة فنِّ التّصريف في أوراق قليلةٍ كتبها بناء على طلب من لا يسعه[6] أن يردّه.

يمكن تقسيم الشافية إلى ثلاثة أقسام :

1- الأبنية : وتشمل على أبنية الاسم [7] الأصول ثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة، وعلى أبنية الفعلِ ثلاثيّة ورباعيّة ،وعلى الميزان الصّرفيّ ، وانقسام الأبنية إلى صحيحٍ ومعتلّ .

2- أحوال الأبنية : تبحث في الأحوال التي تعرض لأبنية الكلم التي قد تكون للحاجة – معنوية أو لفظية – وهي الأفعال : الماضي والمضارع و الأمر والمشتقات . وقد يدعو لتلك الأحوال[8] :

- التوسع في الكلام وهي : المقصور والممدود وذو الزِّيادة .
- المجانسة أو التناسب بين الأحوال وهي : الإمالة .
- الاستثقال وهي : تخفيف الهمزة و الإعلال والإبدال والإدغام والحذف

3- مسائل التمرين [9] : وهذه ليست من أحوال الأبنية ،وقد وضعت لتمرين متعلِّم التَّصريف.

الشروح [10] التي أقيمت على الشافية حتى الأنصاري :

1- شرح الشافية لأبي عمرو عثمان بن عمر ، ابن الحاجب (ت 646هـ)
2- شرح الشافية لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 680 هـ)
3- شرح الشافية للحسن بن محمد بن شرفشاه العلوي الاستراباذي (ت 717هـ)
4- شرح الشافية لنظام الدين النيسابوري (ت 728هـ)
5- شرح الشافية لأحمد بن الحسن فخرالدين الجاربردي (ت 746 هـ)
6- شرح الشافية لأحمد بن عبد القادر بن مكتوم (ت749هـ)
7- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب ، لابن هشام ، عبدالله بن يوسف جمال الدين (ت 761هـ)
8- شرح الشافية لجمال الدين عبد الله بن محمد الحسيني النيسابوري (ت 776هـ)
9- حاشية على شرح الشافية للجابردي ، لابن جماعة عز الدين محمد بن أحمد (ت 816هـ).
10- الصافية في شرح الشافية،ليوسف بن عبد الغفور الرومي المعروف بـ قره سنان (ت852هـ).
11- الطراز اللازوردي ، للسيوطي ، جلال الدين (ت911هـ)
12-الجوامع الكافية في شرح الشافية للشيخ زكريا الأنصاري (ت926هـ) وهو موضوع البحث .

منهج ابن الحاجب :

قبل الخوض في شرح الأنصاري لابد من الوقوف عند منهج ابن الحاجب الذي تميز بأمرين بارزين :

1- الوضوح والإيجاز: كانت عبارات ابن الحاجب واضحةً سهلةً موجزةً بعيدةً عن المنطق والفلسفة التي امتلأت بها كتب النحو المتأخرة ، ويظهر ذلك في :

أ- عرضه القواعد بعبارات موجزة لا إسهابَ فيها ، ففي باب الاسم قال [11] : ((والمرّة من الثلاثيّ المجرّد الذي لا تاء فيه على فَعْلَة، نحو ضَرْبَةٍ وقَتْلَةٍ ، وبكسر الفاء للنَّوع نحو : ضِرْبَة وقِتْلَة ، وما عداه على المصدر المستعمل .))

ب-استعماله الشاهد سواءٌ في ذلك القرآن الكريم أو الشعر : فهو في استعماله الشاهد القرآني لا يشير إلى أنَّها آية ولا يشير إلى موضعها ، فتراه يسردها وكأنَّها مثالٌ عاديّ . قال [12] : ((والحِبُك [13] ،إن ثبتت فعلى تداخل اللغتين في حرفي الكلمة .))

الأمر نفسه مع الشعر فقد يذكر كلمة لا يشير إلى أنها شعر ، ولم يكن يتمّه ولا يشير إلى قائله .

قال[14] : ((بخلاف عواوير وطواويس ،وصحَّ عَوَاور[15] ...))

2- الترتيب والتنظيم :

كان ابن الحاجب يبدأ الباب أحيانا بتعريفه ثم شرحه وتفصيله ، ففي باب الخط قال [16] :

((الخط: تصويرُ اللّفظ بحروف هجائه .))

وأحيانا يدخل الباب بذكر الأوزان والأمثلة ، وأحيانا يبدأ بما هو قياس ثم يتبعه بما هو غالب أو نادر . ففي باب الميزان الصرفي قال [17] : ((وسُحْنُون وعُثْنُون فُعْلُولا لذلك ولعدمه ، وسَحْنُون إن صحَّ الفتحُ فَفَعْلُون لا فَعْلُوْلٌ كحَمْدُونٍ ، وهو مختصٌّ بالعَلَمِ ؛ لِنُدُورِ فَعْلُولٍ، وهو صَعْفوقٌ وخرنوبٌ،وسَمْنَان فَعْلَانْ ، وخَزْعال نادر .))

الأنصاري : حياته وأشهر مؤلفاته :

القاضي [18] زكريا محمد بن زكريا الأنصاري . وُلد بسُنَيْكة في سنةِ ثلاثٍ وعشرين وثمانمئة ، وقيل في سنة أربعٍ وعشرين وثمانمئة .

نشأ يتيماً ، فحفظ القرآن ثم سكن الجامع الأزهر ، وقرأ على مشايخ مصر في مختلف العلوم إلى أن صار عالماً مُبَرّزاً في النحو واللغة والتفسير والحديث الأصول والقراءات والأدب ، تولى منصب التّدريس ثمّ أصبح قاضي القضاة في ولاية قايتباي .

ذكرت كتب التراجم [19] أنه أُ عطي الحظّ في مؤلفاته وتلاميذه حتّى لم يبقَ بمصر إلا طلبته وطلبة طلبته، وذكرت أنّ مؤلفاته تربو على تسعين مؤلفاً . وكانت كتبه الثلاثة : شرح الرّوض ، وشرح البهجة ، والمنهج وشرحه ، من أشهرها .

توفي سنة ستٍّ وعشرين وتسعمئة ، عن مئة وثلاث سنوات .

منـهج الأنـصاري :

أشار الأنصاري في مقدمة [20] شرحه إلى أنّه وضع شرحه على الشافية ليحلّ ألفاظها ، ويبرز دقائقها ، ويحقّق مسائلها ويحرر دلائلها على وجهٍ لطيفٍ ومنهجٍ منيفٍ خالٍ عن الحشو والتّطويل ، حاوٍ للدلائل والتحليل ، وإلى أنه سمّاه : (المناهج الكافية في شرح الشافية) .

تقوم طريقته في تناول أبواب الكتاب على تقطيع متن الشافيةِ إلى مقاطع يحسن الوقوف عليها ، وهذه المقاطع تختلف طولاً وقصراً بحسب مقتضيات الشرح ، فكثيراً ما يقف على حرفٍ واحدٍ من حروف العطفِ أو الجرِّ ، أو على كلمة أو كلمتين . قال [21] :

((ومثالُ الثالث (اغزنَّ) يا رجال (و ارمِنَّ) يا امرأة .))

أما طريقته في افتتاحه الباب فتختلف بين بابٍ وآخر ، فتارةً يفتتحه بتعريفه لغوياً ، ثم يُتبعه بالتعريف الاصطلاحي .

ففي باب الوقف قال [22] : ((الوقف لغةً : مصدر وقفت الشيء ، أي :حبسته . فوقف وقوفاً أي: انحبس .))

واصطلاحاً : ((قطع الكلمة عما بعدها ولو مقدّراً .))

وتارةً يفتتح الباب بتعريفه – كما أورده المصنّف – مضيفاً إليه من المعاني والأمثلة ما يوضحه ، وتارةً يبدأ الباب بمقدمة يوجز فيها أقسامه .

لجأ الشارح إلى ضبط ألفاظ المتن ضبطاً لغوياً ، ثمَّ شرحها وتفسيرها معتمداً إما على الجوهري [23] مع الإشارة إليه أحياناً وإمّا على ذاكرته ، وتراه هنا قد يسوق للكلمة معنىً واحداً وقد يسوق لها أكثر من معنى قال [24] : ((ولذلك كان يَستَعُور لموضعٍ عند حَرَّة المدينة ، ولشجرٍ يُستاك به ، ولكساءٍ يُجعل على عَجُز البعير ، وللدّاهية وللباطل .))

يقوم شرح الأنصاري في مجمله على بسط الآراء والمذاهب والاختيارات والمفاضلة بينها ، وردِّ بعضها ، واختيار الأنسب . وكان للشارح طريقتان :

- الأولى : ذكر أقوال العلماء وآرائهم وحججهم : وهو هنا قد يأتي بها من غير أن يتدخل بشرح أو تعليق كما في قوله [25]

((والزّائد في نحو كرَّم ، الثاني ؛ لأنه المحلّ الذي احتجنا عنده إلى دعوى الزيادة . وهذا قول الجمهور ، وقال الخليل : الحرف الأول ؛ لأن الحكم على الساكنِ بالزيادة أولى تقليلاً للمجاز ، وحُمِلَ عليه المتحرك ، وجوَّز سيبويه الأمرين ، لتعادل الأمارتين عنده .))

و قد يأتي بالآراء ثم يورد عليها اعتراضاً – من لغوي أو نحوي – مبيناً حجةَ كل فريق ، ثمَّ يختم الخلاف بطرحِ رأيه أو اختياره الذي يراه الأنسب والأصح . قال [26] :

((كالماضي فإنه بني على الحركة تشبيهاً بالمضارع ، فَشُبِّهت حركته بحركته ولأنه لو قيل ضَرَبَه، لالتبس بضمير المفعول . قاله المبرِّد . واعتُرض عليه بأنه منقوضٌ بنحو «لم يغزه». وأجيبُ بأنهم حملوا((لم يغزه)) على نحو « قِه» ؛ لأنَّ الأمر مأخوذٌ من المضارع ، فلذلك جوَّزوا «لم يغزه» دون ضَرَبَه .))

- الثانية : ذكر الخلافات النحوية متمثلة بمدرستي البصرة والكوفة ، والشارح هنا لم يظهر تعصبه لمدرسةٍ دون أخرى ، فلا هو بصري ولا هو كوفي ، لأنه كان يصدر في تعليقاته عن قناعة عقلية لا عن تبعية فكرية . قال [27] :

((واسمٌ أصلُه عند البصريين سِمْوٌ ، كقِنْوٌ ، حذفت واوه للثقل وعند الكوفيين : وَسْمٌ ، أي : علامةٌ ؛لأن الاسم علامة على مسمّاه ، والمختارُ الأوّل ؛ لأنهم يقولون في تكسيره : أسماء ، وفي تصغيره : سُمَيّ ولو صحَّ الثاني لقيل : أوسام و وُسَيم .))

ولعلَّ من السِّمات الواضحة في منهج الأنصاري قدرته على الربط بين مختلف المسائل الواردة في شرحه ، فإن كان للمسألة التي يعرض لها ارتباط بما ذكره سابقاً أشار إليه مستخدماً ألفاظاً مثل : (كما مرَّ ، لما مرَّ ، مرَّ بيانه) وإن كان لها ارتباط بما سيأتي أشار إليه مستخدماً ألفاظاً مثل : (كما سيأتي ، كما سيجيء) بل إنه أحياناً يربط بين ما تقدم شرحه وما سيأتي كما في قوله [28] :

((ونحو ‹ آلمَ الله › حيث حركوا الميمَ – كما مرَّ – وسيأتي في كلامه أيضاً .))

وتظهر في ثنايا الشرح شخصية الأنصاري التعليمية حين يلجأ إلى أسلوب الحوار الذي يمنح القارئ والسامع حيوية ذهنية عقلية ، فنجد ألفاظاً مثل : فإن قلتَ ... قلتُ . قال [29] :

((ونحو عُشَرَاء وعِشَار ، فإن قلتَ : تأنيثُ الممدودِ إنَّما هو بألفٍ خامسةٍ لا رابعة . قلتُ : الأصلُ فيه القَصر ، ثمَّ زيدت ألفُ المدِّ قبل ألف التأنيث فانقلبت الثانية همزة .))

نتائج البحث

لعلَّ أهم ما انتهى إليه هذا البحث :

- اعتمد ابن الحاجب في الشافية على العبارة الموجزة سواء في ذكر الأبنية أو الشواهد .
- لم يشر إلى الكتب التي أخذ منها ، بل اكتفى بذكر مذهب الخليل ويونس وسيبويه والفرَّاء و الزمخشري .
- كان الأنصاري عالماً متبحراً واسع الثقافة .
- اعتمد في شرحه على تقسيم الشافية إلى مقاطع ثم شرحها .
- ساق أقوال النحويين واللغويين المتقدمين والمتأخرين ومسائل الخلاف من غير تعصب لا لنحوي ولا لمذهب .
- لم يخرج الأنصاري على ما كان عليه أقرانه من الشرَّاح في زمنه ، فلم يأت بجديد في طريقة الشرح ، ولم ينسب أغلب الشواهد .
- يعد شرحه– مع كل ذلك – من الشروح التي يستعان بها في معرفة أبواب التصريف التي أوضحها .

الهوامش

(1) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص 559– 560 .

(2) لسان العرب (صرف) 7 / 328

(3) شرح الشافية للرضى 1 / 1

(4) الكتاب 4 / 242

(5) عثمان بن عمر بن أبي بكر ، ولد سنة سبعين أو إحدى وسبعين وخمسمئة . صنَّف في النحو الكافية ، والوافية ، وفي التصريف : الشافية . مات سنة ستٍّ وأربعين وستمئة بغية الوعاة 2 / 134 – 135

(6) شرح الشافية للرضي 1 / 1 .

(7) شرح الشافية للرضي 1 / 7 .

(8) شرح الشافية للرضي 1 /65 .

(9) شرح الشافية للرضي 4 / 294 .

(10) كشف الظنون 2 / 1020 – 1021 .

(11) شرح الشافية للرضي 1 / 178 .

(12) شرح الشافية للرضي 1 / 35 .

(13) الذاريات 56 / 2 « والسماء ذات الحُبُك »

(14) شرح الشافية للرضي 3 / 127

(15) ينسب إلى جندل بن المثنى الطهوي . تتمة الرّجز :

* وكَحّلِ العينين بالعَوَاوِرِ

كتاب سيبويه 4 / 370 ، والخصائص 3 / 326

(16) شرح الشافية 1 / 312

(17) شرح الشافية 1 / 10 – 11

(18) الكواكب السائرة 1 / 196 – 207 ، وكشف الظنون 5 / 374

(19) الكواكب السائرة 1 / 201

(20) المناهج الكافية في شرح الشافية – ص 1

(21) الجوامع الكافية في شرح الشافية ، النص المحقق ص 186

(22) التحقيق ص 207 .

(23) إسماعيل بن حماد الجوهري ، قرأ العربية على الفارسي والسيرافي ، صنّف : كتاباً في العروض ، مقدّمة في النحو ، الصّحاح في اللغة . مات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة . بغية الوعاة 1 / 446 – 447

(24) التحقيق ص 269 .

(25) التحقيق ص 366 .

(26) التحقيق ص 218.

(27) التحقيق ص 199–200.

(28) التحقيق ص 188–189.

(29) التحقيق ص 168 .

المراجع:

.....

[1] أسماء الحمصي ، فهرس مخطوطات الكتب الظاهرية ، دمشق ، 1393 هـ / 1973 م

[2] ابن جنّي ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت (من دون تاريخ) .

[3] حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتاب ، بيروت،(من دون تاريخ)
[4] رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن و آخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1402 هـ / 1982 م .
[5] زكريا الأنصاري ، المناهج الكافية في شرح الشافية ، تحقيق رزان يحيى خدام ، جامعة تشرين،اللاذقية 1423 هـ / 2002 م .
[6] سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم ، بيروت 1385 هـ / 1986 م.
[7] السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى . (من دون تاريخ)
[8] الغزّي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية 1979 م .
[9] ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت 1412 هـ / 1992 م .